جُمْهُورِيَّة اَلْعِرَاقِ
وِزَارَة اَلتَّعْلِيمِ اَلْعَالِي وَالْبَحْثِ اَلْعِلْمِيِّ
جَامِعَة دِيَالَى
كُلِّيَّة اَلْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ
قسم علوم القران والتربية الإسلامية
الدراسات العليا

المحكمُ والمتشابهُ وَأَثَرُهما فِي اَلْمَعْنَى اَلتَّفْسِيرِيِّ

تفسير (أَبو اَلسُّعُود) أُنْمُوذَجًا

دراسة تطبيقية

رسالة مقدمة الى
مجلس كلية العلوم الإسلامية–جامعة ديالى
وهي من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)

تقدمت بها الطالبة

نورس فاضل حميد منصور

بإشراف

أ. م. د. شاكر محمود مهدي العزاوي

١٤٤٤هـ العراق ٢٠٢٢م

الآية القرآنية

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ سورة آل عمران الآية رقم ٧

صدق الله العلي العظيم

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة: بـ (المحكم، والمتشابه، وأثرهما في المعنى التفسيري، تفسير ابي السعود أنموذجا– دراسة تطبيقية) الّتي قدَّمتها الطالبة (نورس فاضل حميد) قد جرى بإشرافي في كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلَّبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة (تخصص تفسير).

المشرف

أ.م. د. شاكر محمود مهدي العزاوي

التاريخ: / / ٢٠٢٢م

– توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة:

بناءً على التوصيات المتوافرة، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة.

أ. م .د. أحمد عبود علوان

رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

التاريخ: / / ٢٠٢٢ م

أ. م .د فاضل أحمد حسين

معاون العميد للشؤون العلمية

التاريخ: / / ٢٠٢٢ م

قرار لجنة المناقشة

نحن رئيس و أعضاء لجنة المناقشة نشهدُ أننا اطلعنا على هذه الرسالة الموسومـة بـ **(المحكم، والمتشابه وأثرهما في المعنى التفسيري تفسير أبي السعود انموذجاً دراسة تطبيقية)** الّتي قدّمتها الطالبة (نورس فاضل حميد) إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية. وقد ناقشنا الطالبة في محتواها، وفي ما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية تخصص (تفسير)، بتقدير ( ).

اعضاء لجنة المناقشة

أ. د .رعد طالب كريم

التاريخ: ٢٩ / ١٠ / ٢٠٢٢م

رئيسًا

أ. م. د .سلمان عبود يحيى

التاريخ: ٢٩ / ١٠/ ٢٠٢٢ م

عضواً

أ. د. احسان طه ياسين

التاريخ: ٢٩ / ١٠ / ٢٠٢٢ م

عضوًا

أ. م. د شاكر محمود مهدي العزاوي

التاريخ: ٢٩ / ١٠/ ٢٠٢٢ م

عضواً ومشرفًا

صادق على الرسالة مجلس كلية العلوم الإسلامية – جامعة ديالى. بتاريخ / / ٢٠٢٢م.

الأستاذ الدكتور
عمر عبد الله نجم الدين
عميد كلية العلوم الإسلامية

الاهداء

إلى من علمني النجاح، والصبر

إلى سندي في الحياة، ومواجهة الصعاب ..... والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب، وإلى معنى الحنان والتفاني.. إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي..... امي الحبيبة

الى زوجي العزيز

الى كل من كان يسعى للخير، والعلم هذا الجهد المتواضع.

الباحثة

نورس فاضل حميد

الشكر والتقدير

الحمد لله حمد الشاكرين كما ينبغي لجلاله وجه الكريم على ما تفضّل به علينا من كرم فضله ،وأتمَّ علينا نعمته، ونوَّرَ عقولنا بعلمه الوافر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد.

قال جل وعلى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ (١)

وتيمنًا بقول نبينا الكريم: (ﷺ) (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (٢)

فمن الواجب عليّ أنْ أتقدم بجزيل الشكر، والتقدير إلى أستاذي القدير أ.م.د. **شاكر محمود مهدي** أعزه الله وحفظه، الذي تفضّل مشكوراً بقبول الأَشراف على رسالّتي الذي له الفضل بعد الله تعالى على ما بذله من جهد وإرشاد، وتوجيه في إعداد وإنجاز رسالّتي، وأقف موقف الشاكر الذاكر فضل الدكتور (منشد فالح وادي) فيما قدمه لي من اختيار عنوان الرسالة فله مني الشكر كلّه، والتقدير، والعرفان ، وكذلك الشكر محفوظ، وموصول إلى جميع أساتذتي الافاضل في كلية العلوم الإسلامية/ جامعة ديالى، ولا ننسى حضرت عميد الكلية الدكتور عمر عبد الله نجم الدين،

كما أتقدم بالشكر والعرفان الى الذين قال في حقهم الجواهري :

لو جاز للحر السجود تعبداً ** لرأيت عبدا للمعلم ساجدا

كما اتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى رئيس وأعضاء لجنة المناقشة لما ابدوه من آراء علمية وتصويبات سديدة.

ومن الله التوفيق

الباحثة

نورس فاضل حميد

---

(١) سورة النمل الآية (٤٠)

(٢) رواه ابي داود من حديث أبي هريره: كتاب الآداب، باب: في الشكر والمعروف، رقم ٤٨١١

فهرست المحتويات

المحتويات

الآية القرآنية _____ أ

إقرار المشرف _____ ب

قرار لجنة المناقشة _____ ج

الاهداء _____ د

الشكر والتقدير _____ ه

فهرست المحتويات _____ و

المقدمة _____ ٢

الفصل الأول: مفهوم المحكم، والمتشابه وكليات الرسالة _____ ١٠

المبحث الاول: تعريف المحكم، والمتشابه لغة واصطلاحا: _____ ١٠

المطلب الأول: المحكم لغة واصطلاحا: _____ ١٠

المطلب الثاني: المتشابه لغةً، واصطلاحًا: _____ ١٢

المطلب الثالث: الفرق بين المحكم والمتشابه _____ ١٣

المطلب الرابع: الحكمة من إنزال المحكم، والمتشابه في القرآن الكريم: _____ ١٥

المبحث الثاني: السيرة الذاتية لأبو السعود ، وتفسيره " ارشاد العقل السليم " _____ ١٩

المطلب الاول: اسمه ،نسبه، مولده، وفاته، _____ ١٩

المطلب الثاني: حياته: _____ ١٩

المطلب الثالث: رحلته في طلب العلم وما تقلّد من مناصب: _____ ٢١

المبحث الثالث: عصر الامام أبي السعود : _____ ٢٣

المطلب الأول: معاصروه: عاصر أبو السعود أربعة سلاطين، وهم: _____ ٢٣

المطلب الثاني: شيوخه: _____ ٢٥

المطلب الثالث: تلاميذه: _____ ٢٦

المبحث الرابع: النتاج العلمي والمعرفي لأبي السعود _____ ٢٨

المطلب الاول : مصنفاته: _____ ٢٨

المطلب الثاني: منهجه العام في التفسير: _____ ٢٩

أولا: عناية أبي السعود بعلم المناسبات: _____ ٢٩

ثانيا: العناية بمباحث علوم القرآن منها علم أسباب النزول: _____ ٣٠

اَلْفَصْل اَلثّانِي: اَلْآيَات اَلْمُحْكَمَة، وَأَثَرِهَا فِي تَفْسِيرِ أبي السعود _____ ٣٤

اَلْمَبْحَث اَلْأَوَّل: اَلْآيَات اَلْمُحْكَمَة فِي اَلْمَسَائِلِ اَلْعَقَائِدِيَّة _____ ٣٤

المطلب الأول: التّنزيه، ونفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى: _____ ٣٤

أولا: نفي المثيل: _____ ٣٤

ثانيا: نفي المكافئ _____ ٣٥

ثالثا: تنزيه الله سبحانه وتعالى عن ان تدركه الابصار _____ ٣٦

المطلب الثاني: الآيات المحكمة في نفي الشرك عن الله سبحانه وتعالى _____ ٣٨

أولا: مغفرة الشرك: _____ ٣٨

ثانيا: براءة الله من المشركين: _____ ٣٩

ثالثا: الرد على استعجال الكفار للعذاب: _____ ٤٠

رابعا: التحذير، والوعيد للمشركين: _____ ٤١

خامسا: حال المشركين: _____ ٤٢

المطلب الثالث: الآيات المحكمة في احاطة علم الله سبحانه وتعالى بما في الكون _____ ٤٣

أولا: إحاطة علم الله تعالى لكل شيء: ٤٣
ثانيا: عدم الخفاء على الله من شيء: ٤٣
ثالثا: إحاطة علم الله عما في النّفس الإنسانية: ٤٤
رابعا: احاطة علم الله عما في الغيب: ٤٥
خامسا: علم الله ما بين الايدي، وما خلفهم: ٤٥

المبحث الثاني: الآيات المحكمة في الاحكام الشرعية ٤٦
المطلب الأول: الآيات المحكمة في التحذير من الربا: ٤٦
أولا: حال الذين يأكلون الربا: ٤٦
ثانيا: تحريم الربا، وزيادة الصدقات: ٤٨
ثالثا: النهي عن أكل الربا اضعافًا: ٤٨
رابعا: عدم الزيادة في أموال الناس في الربا عند الله: ٤٩
خامسا: الإقلاع عن الربا: ٥٠
المطلب الثاني: الآيات المحكمة في الحدود: ٥١
أولا: حد القذف: ٥١
ثانيا: حد الزّنا: ٥٣
ثالثا: حد السرقة: ٥٤
رابعا: حد الحرابة: ٥٥
المطلب الثالث: الآيات المحكمة في المحرمات من النساء ٥٧
أولا: المحرمات بسبب النّسب: ٥٧
ثانيا: المحرمات بسبب الرّضاع ٥٧
ثالثا: المحرمات بسبب المصاهرة: ٥٨
المطلب الرابع: الآيات المحكمة في المحرمات من الطعام ٦٠

المبحث الثالث: الآيات المحكمة في المسائل التربوية والسلوكية ٦٢
المطلب الأول: الآيات المحكمة في اقتران العبادة والتوجيه ببر الوالدين ٦٢
أولا: اقتران توحيد الله ببر الوالدين: ٦٢
ثانيا: الارشاد في عبادة الله وبر الوالدين: ٦٢
ثالثا: قضاء الله في عبادته وبر الوالدين: ٦٣
رابعا: مخاطبة الله ليحيى: ٦٤
خامسا: وصية الله للإنسان ببر الوالدين: ٦٤
المطلب الثاني: الآيات المحكمة في التوبة والمغفرة: ٦٥
المطلب الثالث: الآيات المحكمة في سلوك الحاج اثناء الحج: ٦٨

اَلْفَصْل اَلثّالِث: اَلْآيَاتَ اَلْمُتَشَابِهُ، وَأَثَرَهَا فِي تَفْسِيرِ أبي السعود ٧٤

اَلْمَبْحَث اَلْأَوَّل: اَلْمُتَشَابِه فِي آيَاتِ اَلصِّفَات ٧٤
المطلب الأول : الاستواء: ٧٥
المطلب الثاني: الوجه: ٧٨
المطلب الثالث :العين: ٨٠
المطلب الرابع: اليد ٨٣
المطلب الخامس: المعية: ٨٥
المطلب السادس: المجيء: ٨٦

المبحث الثاني :الحروف المقطعة ٩١
تمهيد: تعريف الحروف المقطعة في اللّغة والاصطلاح: ٩١
المطلب الاول: إحصاء الحروف المقطعة في القرآن: ٩١
المطلب الثاني: بيان أقوال العلماء الواردة في الحروف المقطعة: ٩٤

المبحث الثالث: المتشابه في الآيات الغيبية: ١٠٤
المطلب الأول: بيان معنى قوله تعالى ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ ١٠٤
المطلب الثاني: الاخبار عن نبوة موسى (عليه السلام) ١٠٥
المطلب الثالث: الاستقبال في قوله ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ﴾ ١٠٦

المطلب الرابع: الاخبار عن اهوال يوم القيامة: _____ ١٠٧
المطلب الخامس: الاخبار بعلمه تعالى بمفاتيح الغيب: _____ ١٠٨
الخاتمة _____ ١١٠
المصادر والمراجع _____ ١١٢

Abstract

Ministry of Higher Education

Diyala University/ College of Islamic Sciences

Department of Quran Sciences and Islamic Education

The Arbitrator and the Similar and their Effect on the Interpretive Meaning

(In Tafsir Abu Al-Saud as a Model)

(Applied Study)

A Thesis Submitted to the Council of the College of Islamic Sciences in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Quran Sciences

By

Nawras Fadel Hamid Mansour

Supervised by

Asst. Prof. Shaker Mahmoud Mahdi Al-Azzawi (PhD.)

٢٠٢٢ A.D ١٤٤٤B.C

.

Abstract

This study aims to clarify (the Effect of the Arbitrator and the Similar and their Impact on the Interpretative Meaning of Imam Abu Al-Saud) by presenting his opinion and then clarifying the extent to which Abu Al-Saud's statement agrees with the statements of other commentators, because (the Arbitrator and the Similar Case) is one of the issues in which the scholars of interpretation differ According to the directions of each interpreter.

Therefore, the study emphasized on highlighting what Abu Al-Saud reached in terms of trends and how he dealt with this recital, as it had a great impact on knowing his perceptions about it.

المُقَدِّمَة

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة، والسلام على أشرف الأنبياء، والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله الطَيبين الطاهرين، واصحابه الغرّ الميامين.

أما بعد:

لقد بذل علماء الأمة جهوداً كبيرةً في خدمة القرآن الكريم، وعلومه ، ومن جملة تلك الجهود الاهتمام بقضية المحكم، والمتشابه، فوقفوا أمام تلك الحيثية وقفة طويلة، وخصوصاً حول الآية الّتي تناولت المحكم، والمتشابه من الآية السابعة من سورة آل عمران، وذلك؛ لأنها صَرَّحت بتلك القضية تصريحاً مباشراً، بوجود آيات محكمات، وآيات متشابهات .

فقَد بيَّنَ علماء التفسير معنى المحكم، ومعنى المتشابه، والغاية من وجودهما في القرآن وما يترتب على كلٍّ واحد منهما من معانٍ ودلالات كُلٍّ بحسب اجتهاده ،فتركوا لنا ثروة علمية كبيرة جداً، ومن جملة هذه الثروة هي جهود الإمام أبي السعود في تفسيره القيم "إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم " فحاولنا، ومِنْ خلال التفسير أنْ نسلط الضوء على تلك القضيّة "المحكم، والمتشابه " ،وموقف أبي السعود منها، وكيف أثّرت على المعنى التفسيري .

أهمية الدراسة: تتلخص أهمية البحث من خلال النقاط الآتية

١- بيان المحكم، والمتشابه، وأثرهما في المعنى التفسيري في القرآن الكريم .

٢- بيان معنى المحكم والمتشابه، واختلافات العلماء.

٣- بيان رأي ابي السعود في المحكم والمتشابه.

اتبعت في دراستي:

١-المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال اخذ نماذج من الآيات المحكمة، والمتشابهة في القرآن.

٢- المنهج التحليلي: حيث تَمَّ تحليل الآيات من التفاسير المعتمدة.

٣- المنهج الوصفي: في وصف الامام أبي السعود في شخصه وعلمه.

حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة على بيان المحكم، والمتشابه واثرهما في المعنى التفسيري تفسير أبي السعود انموذجًا.

سبب اختيار الموضوع:

اختيار الموضوع له أسباب منها:

١- الإسهام، والمشاركة في خدمة القرآن الكريم.

٢- بيان موقف أبي السعود مِنْ قضية المحكم، والمتشابه.

٣- بيان مدى موافقة أبي السعود لأَقوال المفسرين السابقين.

٤- أهمية هذه الدراسة أنها فتحت بابا جديدا لطلبة العلم في تناول قضية المحكم، والمتشابه في كتب التفسير عامة.

أسئلة الدراسة:

١-ما معنى المحكم، والمتشابه وما أثرهما؟

٢- من هو الامام أبو السعود؟

٢- ما الحكمة من إنزال المحكم، والمتشابه؟

فرضية الدّراسة:

تفترض الباحثة ما هو آت:

١- إنَّ للمحكم، والمتشابه أثراً في تفسير القرآن.

٢- إنَّ للمحكم، والمتشابه حكمة في ورودهما في القرآن.

٣- إنَّ للمتشابه تأويلات كثيرة.

٤- عنى الإمام أبي السعود في بيان المحكم، والمتشابه.

مشكلة الدّراسة:

تدور مشكلة البحث حول سؤال وهو:

ما المحكم، والمتشابه؟ وما أثرهما في المعنى التفسيري؟ في تفسير أبي السعود انموذجًا؟

خطة الدراسة:

حيث اشتملت هذه الدراسة على

الفصل الأول: **مفهوم المحكم، والمتشابه وكُلِّيّات الرسالة. وضمنت أربعة مطالب**

المبحث الأول: تعريف المحكم، والمتشابه لغةً واصطلاحًا:

المطلب الأول: المحكم لغةً:

المطلب الثاني: المتشابه لغةً، واصطلاحًا:

المطلب الثالث: الفرق بين المحكم، والمتشابه

المطلب الرابع: الحكمة من إنزال المحكم، والمتشابه في القرآن الكريم:

المبحث الثاني: السيرة الذاتية لأبي السعود ، وتفسيره " إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم "

المطلب الأول: اسمه، نسبه، مولده، وفاته:

المطلب الثاني: حياته:

المبحث الثالث: عصر الإمام أبي السعود :

المطلب الأول: معاصروه:

المطلب الثاني: شيوخه:

المطلب الثالث: تلاميذه:

المبحث الرابع: النّتاج العلمي، والمعرفي لأَبي السعود

المطلب الأول : مصنفاته:

المطلب الثاني: وفاته:

المطلب الثالث: منهجه العام في التفسير:

اَلْفَصْل اَلثّانِي:

اَلْآيَات اَلْمَحْكَمَةُ وَأَثَرِهَا فِي تَفْسِيرِ أبي السعود

المبحث الأول: اَلْآيَات اَلْمَحْكَمَةِ فِي اَلْمَسَائِلِ اَلْعَقَائِدِيَّةِ

المطلب الأول: اَلتّنزيه، ونفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى:

المطلب الثاني: الآيات المحكمة في نفي الشرك عن الله سبحانه وتعالى

المطلب الثالث: الآيات المحكمة في احاطة علم الله سبحانه وتعالى بما في الكون

المبحث الثاني: الآيات المحكمة في المسائل الفقهية، والأَحكام الشرعية

المطلب الأول: الآيات المحكمة في معاملات الربا

المطلب الثاني: الآيات المحكمة في الحدود:

المطلب الثالث: الآيات المحكمة في المحرمات من النساء

المبحث الثالث: الآيات المحكمة في المسائل التربوية، والسلوكية

المطلب الأول: الآيات المحكمة في اقتران العبادة، والتوجيه ببرِّ الوالدين

المطلب الثاني: الآيات المحكمة في التوبة، والمغفرة:

المطلب الثالث: الآيات المحكمة في سلوك الحاج اثناء الحج

اَلْفَصْل اَلثّالِث

اَلْآيَاتِ اَلْمُتَشَابِهَة وَأَثَرُهَا فِي تَفْسِيرِ أبي السعود

اَلْمَبْحَث اَلْأَوَلُ: اَلْمُتَشَابِهَ فِي آيَاتِ اَلصِّفَات

المطلب الأول : الاستواء:

المطلب الثاني: الوجه:

المطلب الثالث :العين:

المطلب الرابع: اليد

المطلب الخامس: المعية:

المطلب السادس: المجيء:

المبحث الثاني :الحروف المقطعة

المطلب الأول: تعريف الحروف المقطعة في اللغة، والاصطلاح:
المطلب الثاني: إحصاء الحروف المقطعة في القرآن:
المطلب الثالث: بيان الأقوال الواردة في الحروف المقطعة الّتي في أوائل السور:
المبحث الثالث: المتشابه في الآيات الغيبية:
المطلب الأول: بيان معنى قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر)
المطلب الثاني: الاخبار عن نبوة موسى(عيه الصلاة والسلام)
المطلب الثالث: الاستقبال في قوله تعالى (ستدعون الى قوم أولى بأس)
المطلب الرابع: الأَخبار عن اهوال يوم القيامة
المطلب الخامس: الاخبار بعلمه تعالى بمفاتيح الغيب

الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: المحكم، والمتشابه في القرآن الكريم

إعداد الطالب / محمد متولي إدريس ماجستير جامعة الأزهر.

أوجه الاتفاق: تتفق دراستي مع هذه الدراسة في معنى المحكم، والمتشابه.

أوجه الاختلاف تختلف دراستي مع هذه الدراسة عدم إيراد أي إشارة إلى أثر المحكم والمتشابه في تفسير القرآن الكريم وخاصةً عند أبي السعود .

الدراسة الثانية: المحكم، والمتشابه، واثرهما في التفسير.

إعداد الطالبة: إسلام حسن محمد بله

أوجه الاتفاق: تتفق دراستي مع هذه الدراسة في معنى المحكم، والمتشابه.

أوجه الاختلاف: تختلف دراستي مع هذه الدراسة عدم ذكر اقوال أبي السعود في المحكم، والمتشابه.

الدراسة الثالثة: المحكم، والمتشابه في القرآن الكريم دراسة تحليلية للآية رقم ٧ من سورة آل عمران.

اعداد: د. سعيد بن راشد الصوافي / أستاذ مساعد قسم علوم الإسلامية

في كلية التربية جامعة السلطان قابوس.

أوجه الاتفاق: تتفق دراستي مع هذه الدراسة في معنى المحكم، والمتشابه.

أوجه الاختلاف: تختلف دراستي مع هذه الدراسة عدم ذكر أقوال أبي السعود في المحكم، والمتشابه.

الفصل الأول

مفهوم المحكم، والمتشابه وكليات الرسالة

المبحث الاول: تعريف المحكم، والمتشابه لغةً واصطلاحًا:

المطلب الأول: المحكم لغةً واصطلاحًا:

المطلب الثاني: المتشابه لغةً واصطلاحًا:

المطلب الثالث: الفرق بين المحكم، والمتشابه

المطلب الرابع: الحكمة من إنزال المحكم، والمتشابه في القرآن الكريم:

المبحث الثاني: السيرة الذاتية لأبي السعود ، وتفسيره " إرشاد العقل السليم "

المطلب الاول: حياته:

المطلب الثاني: اسمه، نسبه، مولده، وفاته:

المبحث الثالث: عصر الإمام أبو السعود :

المطلب الأول: معاصريه:

المطلب الثاني: شيوخه:

المطلب الثالث: تلاميذه:

المبحث الرابع: النتاج العلمي والمعرفي لأبي السعود

المطلب الاول : مصنفاته

المطلب الثاني: منهجه العام في التفسير

الفصل الأول: مفهوم المحكم، والمتشابه وكليات الرسالة

المبحث الاول: تعريف المحكم، والمتشابه لغة واصطلاحا:

المطلب الأول: المحكم لغة واصطلاحا:

(حَكَمَ: الْحَاءُ، وَالْكَافُ، وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ. وَسُمِيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ حَكَمْتُ الدَّابَّةَ، وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السَّفِيهَ وَأَحْكَمْتُهُ، إِذَا أَخَذْتَ عَلَى يَدَيْهِ)[١]

حكم: أحكم الشيء فاستحكم. وحكم الفرس، وأحكمه: وضع عليه الَحكَمَة، وفرس محكومة ومُحْكَمَة[٢]

حكم: (الْحُكْمُ) الْقَضَاءُ، وَقَدْ (حَكَمَ) بَيْنَهُمْ يَحْكُمُ بِالضَّمِّ (حُكْمًا)، وَ (حَكَمَ) لَهُ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ. وَ (الْحُكْمُ) أَيْضًا الْحِكْمَةُ مِنَ الْعِلْمِ. وَ (الْحَكِيمُ) الْعَالِمُ، وَصَاحِبُ الْحِكْمَةِ. وَالْحَكِيمُ أَيْضًا الْمُتْقِنُ لِلْأُمُورِ، وَقَدْ (حَكُمَ) مِنْ بَابِ ظَرُفَ أَيْ صَارَ حَكِيمًا، وَ (أَحْكَمَهُ فَاسْتَحْكَمَ) أَيْ صَارَ (مُحْكَمًا)[٣]

حَكَمْتُ، وأَحْكَمْتُ، وحَكَّمْتُ بِمَعْنَى مَنَعْتُ، وَرَدَدْتُ، وَمِنْ هَذَا قِيلَ لِلْحَاكِمِ بَيْنَ النَّاسِ حاكِمٌ، لأَنه يَمْنَعُ الظَّالِمَ مِنَ الظُّلْمِ، وحَكَمَ الشَّيْءَ، وأَحْكَمَهُ، كِلَاهُمَا: مَنَعَهُ مِنَ الْفَسَادِ، وَكُلُّ مَنْ مَنَعْتَهُ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ حَكَّمْتَه، وأَحْكَمْتَهُ.[٤]

حكم: الحِكمةُ: مَرْجِعُها إلى العَدْل والعِلْم والحِلْم. ويقال: أَحْكَمَتْه التَجارِبُ إذا كانَ حكيمًا. وأَحْكَمَ فلانٌ عني كذا، أي: مَنَعَه، وَحكَمة اللجام: ما أحاطَ بحَنَكَيْه سُمِيَ به؛ لأنها تمنعه من الجَرْي. وكلُّ شيء مَنَعْتَه من الفَساد فقد حَكَمْتَهُ، وحَكَّمته، وأحكَمْتَه، وفَرَسٌ محكُومةُ: في رأسها حَكَمَةٌ.[٥]

---

(١)معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر:١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ٩١/٢

(٢) ينظر:أساس البلاغة: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ) ق: محمد باسل عيون السود، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م،٢٠٦/١

(٣) ينظر مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦ هـ)، ق: يوسف الشيخ، محمد، ن: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ٨٧/١

(٤) ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الأفريقي (المتوفى ٧١١هـ)، ن: دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي: بيروت – لبنان،ط٣: ١٤١٩هـ -١٩٩٩م، ٢٧٠/٣

(٥) ينظر كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ٨٢١ هـ)، ق: د مهدي. المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ن: دار ومكتبة الهلال،٦٦/٣-٧٦

المْحَكَم اصطلاحًا: فهو ما أمكن معرفة المراد بظاهره، أو بدلالة تكشف عنه، أو بأي طريق من طرق المعرفة[١]

فَهُوَ مَا أحكمته بالأمر، وَالنَّهْيِ، وَبَيَانِ الْحَلَالِ، وَالْحَرَامِ[٢]

وقيل أيضا: مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا[٣] وأيضا: مَا عُرِفَ الْمُرَادُ مِنْهُ[٤]

وعرف أيضًا: هو مَا عُرِفَ تَأْوِيلُهُ، وَفُهِمَ مَعْنَاهُ، وَتَفْسِيرُهُ.[٥]

ومن هذه التعاريف يتبن لنا بأَّن المحكم: هو الذي كانت دلالته قطعية خاليه من الظّن، وخالية من تعدد التأويل إلا وجه واحد يبن المعنى المراد، ، وَسِّميَ محكم؛ لأنه لا يدخل فيه الزيغ لإحكامه.

---

[١] ينظر: المهذب في علم أصول الفقه المقارن، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، ن: مكتبة الرشد – الرياض، ط١: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م ،٢/ ٥٠٧

[٢] ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م دار إحياء الكتب العربية، دار المعرفة، بيروت، لبنان،٦٨/٢

[٣] ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) ق: الشيخ أحمد عزو عناية، ن: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ٩٠/١

[٤] المصدر السابق نفسه: ٩٠/١

[٥] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ن: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م،٩/٤

المطلب الثاني: المتشابه لغةً، واصطلاحًا:

المتشابه لغةً: (المُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور: المُشْكِلاتُ. والمُتَشابِهاتُ: المُتَماثِلاتُ. وتَشَبَّهَ فلانٌ بِكَذَا. والتَّشْبِيهُ: التَّمْثِيلُ)[١]

(وتشابه الشيئان، واشتبها، وشبّهته به، وشبّهته إياه، واشتبهت الأمور، وتشابهت: التبست لاشتباه بعضها بعضاً)[٢]

(شبه: الشّبه والشّبه، والشبيه في الشيئين المتشابهين. والشّبه من الجواهر: ما يشبه الذهب، والمشبهات من الأمور)[٣]

المتشابه اصطلاحاً: عرف العلماء المتشابه بتعريفات ومنها:

الْمُتَشَابِهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ مما استأثر الله تعالى بعلمه[٤]

المشتبه المحتمل الذي يحتاج في معرفة معناه إلى تأمل، وتفكر، وتدبر، وقرائن تُبَيِّنُه، وتزيل إشكاله)[٥]

والمتشابه: وَهُوَ إِيرَادُ الْقِصَّةِ الْوَاحِدَةِ فِي صُوَرٍ شَتَّى، وَفَوَاصِلَ مُخْتَلِفَةٍ، وَيَكْثُرُ فِي إِيرَادِ الْقَصَصِ، وَالْأَنْبَاءِ، وَحِكْمَتُهُ التَّصَرُّفُ فِي الْكَلَامِ، وَإِتْيَانُهُ عَلَى ضُرُوبٍ.[٦]

والْمُتَشَابِهُ من القرآن: ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إمّا من حيث اللّفظ، أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء: الْمُتَشَابِهُ: ما لا ينبئ ظاهره عن مراده[٧]

وترى الباحثة أَنْ المتشابه هو الكلام الذي يحتمل في تأويله الى عدة أوجه وهو الذي يدخل فيه الشك، والشبه لذلك الذين في قلوبهم شك، وزيغ يتّبعونه ابتغاء الفتنه، وابتغاء تأويله.

---

[١] ينظر: لسان العرب: ابن منظور: ٣٠٥/١٣، (ت: ٧١١ هـ)

[٢] ينظر: أساس البلاغة: محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ) ، ٤٩٣/١

[٣] ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت ٣٩٥هـ)، ق: زهير عبد المحسن سلطان، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢ - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص٥٢٠

[٤] ينظر: الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش،ن: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ٩/٤

[٥] ينظر:العدة في أصول الفقه: محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي (ت٣٨٠ - ٤٥٨ هـ)، ق: أحمد بن علي بن سير المباركي، ب ن، ط٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ١٥٢/١

[٦] ينظر: البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)،ق: محمد أبو الفضل إبراهيم،ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م،ن: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه،١١٢/١

[٧]ينظر: المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)،ق: صفوان عدنان الداودي، ن: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت،ط١ - ١٤١٢ هـ، ص٤٤٣

المطلب الثالث: الفرق بين المحكم والمتشابه

أنزل الله القرآن على عباده؛ ليكون نذيرًا للعالمين، فخط للخلق العقائد الصحيحة، والأصول الواضحة في آيات واضحة للناس، وذلك من نعمة الله على خلقه، فهو أتقن لهم مبادئ الدين في إيصال عقائدهم إليهم، ويتضح لهم الطريق المستقيم. وتلك الآيات هي أمّ الكتاب من هما سلامة وحدة الأمّة الإسلامية، والحفاظ على كيانها و تأتي هذه المبادئ الدينية في أكثر من مكان في القرآن باختلاف النطق، والعبارات، والأسلوب، ولكنَّ معناها واحد، وبعضها يشبه البعض الآخر، ويتفق معناها دون تناقض العلم، حتى يحيلوه إلى المحكم ببناء الفروع على الأصول، والجزئيات على الكلِّ، حتى لو ضلّت بها قلوب أهل النّزوات، وبهذا الحكم في الأصول، والعامة في الفروع، كان الإسلام هو الدين الخالد للإنسانية الذي يضمن لها خير الدنيا، والآخرة على مرِّ العصور.

ان للمحكم والمتشابه معاني كثيرة منها:

١ – أنَّ المحكم هو الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يحتمل التأويل والتخصيص أَمَّا المتشابه فهو الخفي الذي لا يدرك معناه عقلًا ، ولا نقلًا، وهو ما استأثر الله تعالى بعلمه كقيام الساعة، والحروف المقطعة في أوائل السور.[١]

٢ – المحكم ما عرف المراد منه إمَّا بالظهور، وإمَّا بالتأويل أما المتشابه فهو ما استأثر تعالى بعمله كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.[٢]

٣ – ومنها أن المحكم ما لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا من التأويل أَمَّا المتشابه فهو ما احتمل أوجها.[٣]

٤ – المحكم ما استقل بنفسه، ولم يحتج إلى بيان أّمَّا المتشابه فهو الذي لا يستقل بنفسه بل يحتاج إلى بيان فتارة يبين بكذا؛ وتارة يبين بكذا؛ لحصول الاختلاف في تأويله.[٤]

---

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، ق: علي عبد الباري عطية، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ، ٨٠/٢

[٢] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م،٤/٣

[٣] ينظر: دراسات في علوم القرآن: محمد بكر إسماعيل (ت ١٤٢٦هـ)، ن: دار المنار، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ص١٨٤

[٤] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت ١٣٦٧هـ)، ن: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ٢٧٢/٢-٢٧٣

٥ – المحكم هو السديد النظم، والترتيب الّذي يفضي إلى إثارة المعنى المستقيم من غير مناف أَمَّا المتشابه فهو الذي لا يحيط العلم بمعناه المطلوب من حيث اللغة إلا أن تقترن به أمارة، أو قرينة ويندرج المشترك في المتشابه بهذا المعنى.[١]

قال السرخسي (ت: ٤٨٣ هـ) " المشترك، فكلُّ لفظ يشترك فيه معانٍ، أو أسامٍ، لا على سبيل الانتظام؛ بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المرادَ به على الانفراد، وإذا تعيَّن الواحد مرادًا به، انتفى الآخر؛ مثل اسم (العين)؛ فإنه للناظر، ولعين الماء، وللشمس، وللميزان، وللنقد من المال، وللشيء المعين، لا على أن جميع ذلك مراد بمطلق اللفظ، ولكن على احتمال كون كل واحد مرادًا بانفراده عند الإطلاق؛ وهذا لأن الاسم يتناول كل واحد من هذه الأشياء، باعتبار معنًى غيرِ المعنى الآخر، وقد بيَّنا أن لفظ الواحد لا ينتظم المعاني المختلفة"[٢]

٦ – المحكم ما كان دليله واضحًا ، كدلائل الوحدانية، والقدرة، والحكمة، والمتشابه ما يحتاج في معرفته إلى التدبر، والتأمل:[٣]

٧– المحكم ما كانت معاني أحكامه معقولة، والمتشابه ما كانت معاني أحكامه غير معقولة، كأَعداد الصلوات، واختصاص الصيام بشهر رمضان دون شعبان.[٤]

٨–المحكم مالم تشتبه معانيه، والمتشابه: ما اشتبت معانيه.[٥]

٩– المحكم ما تضمن حكمًا، والمتشابه ما تضمن أخبارًا، وقصصًا.[٦]

١٠– المحكم الفرائض، والوعد، والوعيد، والمتشابه القصص، والأمثال.[٧]

---

[١] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني ،٢٧٢/٢-٢٧٣

[٢] أصول السرخسي: أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣ هـ)،ن: لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد بالهند،دار المعرفة – بيروت، ١٢٦/١

[٣] ينظر: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م،١٣٦/٣

[٤] ينظر: النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ)، ق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان،٣٧٠/١

[٥] ينظر: إتقان البرهان في علوم القران، فضل حسن عباس، دار النفائس الأردن، ط٢، ٢٠١٠، ٤٨٨/١

[٦] ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط١٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص٣٩٤

[٧] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،٤/٣

"اللفظ الذي جعل موضوعا لمعنى إما إلا يكون محتملا لغيره أو يكون محتملا لغيره الأول النص والثاني إما أن يكون احتماله لأحد المعاني راجحا ولغيره مرجوحا وإما أن يكون احتماله لهما بالسوية واللفظ بالنسبة للمعني الراجح يسمى ظاهرا بالنسبة للمعنى المرجوح يسمى مؤولا وبالنسبة للمعنيين المتساويين أو المعاني المتساوية يسمى مشتركا وبالنسبة لأحدهما على التعيين يسمى مجملا وقد يسمى اللفظ مشكلا إذا كان معناه الراجح باطلا ومعناه المرجوح حقا إذا عرفت هذا فالمحكم ما كان دلالته راجحة وهو النص والظاهر لاشتراكهما في حصول الترجيح إلا أن النص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع منه" [1]

المطلب الرابع: الحكمة من إنزال المحكم، والمتشابه في القرآن الكريم:

ورود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، فقد أنزل الله سبحانه وتعالى هذا الكتاب العزيز ليكون منهج حياة للناس، ومصدر خير وهداية لهم؛ لذلك كان وضعه في غاية من الحكمة، ولم يخرج شيء منه عن حكمة قصدها الحكيم تبارك وتعالى؛ سواء علمها الناس أم لم يعلموها، وقد أدرك العلماء هذه الحقيقة، وآمنوا بها، وتسابقت البابهم في استخراج حكمة الله تعالى في جعل قسم من هذا الكتاب متشابهة وآخر محكمة .

من هذه الحكم نتوقف عند بعضها:

أولا: أن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا الكتاب العزيز على سيدنا محمد(ﷺ) بلسان عربي مبين، نزل على أسلوب العرب وبألفاظهم ووفقا لكلامهم، وهذا اللسان العربي حفل بالكثير من الأفانين والأساليب البلاغية والبيانية التي تظهر جمال اللغة العربية، وهذه واحدة فيه من الحكم المتعددة؛ منها: حفظ هذه الأساليب وهذه الجماليات اللغوية، التي بدورها تؤدي إلى حفظ كيان اللغة العربية، التي تعيش في عصرنا الراهن نوعا من الإهمال والضياع من قبل أهلها. ومنها بيان وجه من وجوه الإعجاز القرآن الكريم؛ ولذا عد ابن بركة العماني ورود المحكم والمتشابه أنه ضرب من ضروب الخطاب القرآني، ومظهر من مظاهر اتساع لغته وقوتها في بيان المقاصد والغايات، فهو من جوانب الإعجاز البياني الذي يتضمنه النص القرآني، يقول ابن بركة: "فالقرآن إنما أنزل بلغة القوم الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو مشتمل على ضروب من الخطاب؛ فمنه المفسر

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، ٢٧٥/٢،

الذي لا يستغنى بلفظه عن بيان غيره، ومنه المجمل الذي لا يستغنى عن معرفة بيانه، ومنه المحكم الذي يعرفه السامع، ومنه المتشابه الذي يفكر في تأويله العالم" [١]

ثانيا: الابتلاء والاختبار؛ فقد روى ابن جرير بإسناده إلى محمد بن جعفر بن الزبير أنه قال في المحكمات: "فيهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه" [٢]

ثالثا: مسايرة تجدد أحوال العصور: القرآن الكريم خطاب للعالمين جميعاً؛ على اختلاف أزماتهم وأمكنتهم، وليس خطاباً لعصر نزوله. وأحوال الناس متجددة تجدد الأزمان والأجيال؛ لذا نجد أن تجدد بيان القرآن الكريم بتجدد العصور والأحوال، فالناظر في هذا الكتاب العزيز، والمتأمل في آياته؛ بعدها تخاطب أحوال الناس المتجددة، وكان هذه الأراد، ازاء"، في اوها على كل جيل، هذا اقتضت سنة الله في هذا الكون أن تكون حياة الناس مطردة في تطور الاكتشافات وسبر أغوار هذا الكون، فكل جيل يكتشف من الحقائق المذهلة في الآفاق والأنفس بما تيسر له من إمكانات الاكتشاف والعلم والمعرفة، والتي لا يمكن معرفتها لأهل عصر نزول القرآن الكريم؛ أو العصور القريبة منه، فيجد ذكرها أو الإشارة إليها في القرآن الكريم، وكأنه نزل لتوه ليبين لهم أن ما اكتشفوه إنما هو من سنن الله المطردة في هذا الكون، وأن ما توصلوا إليه قليل في علم الله.

رابعا: فتح مجال التفاضل والسبق إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى، ونيل ثوابه، ولذلك جعل الله سبحانه وتعالى بعض آيات كتابه متشابهاً؛ لتكون مجالاً خصباً يتنافس فيه الناس بالتفكر والتدبر والاجتهاد؛ للكشف عن المعاني التي ينطوي عليها النص المتشابه، وفقاً للأصول والقواعد والضوابط التي يجب أن تتوفر سواء في المفسر أو في النص المفسر، ولو كانت آيات القرآن كلها محكمة؛ لما كان هناك مجال للتنافس، مما يؤدي إلى تبلد في العقول؛ لعدم استعمالها في هذا الجانب الذي يجلي الفكر ويفتح الذهن، كما أنه يؤدي بدوره إلى إبطال التفاضل والاجتهاد في السبق؛ فيترتب على هذا الأمر استواء منازل الناس، وفي هذا المعنى يقول ابن قتيبة: "ولو كان القرآن كله ظاهراً مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت

---

[١] الجامع لأحكام القران:القرطبي،٧٢/١

[٢] جامع البيان في تأويل القران : الطبري، ١٧٧/٦

الخواطر"، يقول ابن بركة العماني: "فأما المعنى في متشابه الكتاب فإن الله – جل ذكره – خلق عباده ليمتحنهم فيثيبهم، كما قال جل وتعالى: ﴿إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ [١] ، فعرضهم – بخلقه إياهم – على المنازل وأشرفها، وهو الثواب الذي لا خلاف بين أهل العقول في أنه أشرف من التفضل ولو كان القرآن كله محكما لا يحتمل التأويل ولا يمكن الاختلاف فيه لسقطت المحنة فيه، وتبلدت العقول، وبطل التفاضل والاجتهاد في السبق إلى الفضل، واستوت منازل العباد". ويقول الزركشي في البرهان: "ومنها (أي الحكمة في إنزال المتشابه) إظهار فضل العالم على الجاهل، ويستدعيه علمه إلى المزيد في الطلب في تحصيله؛ لتحصل له درجة الفضل". ويقول البيضاوي عند تفسير الآية الكريمة معللاً الحكمة من رد المتشابه إلى المحكم: "ليظهر فيها فضل العلماء، ويزداد حرصهم على أن يجتهدوا في تديرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها، فينالوا بها وبإتعاب القرائح في استخراج معانيها، والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات"

إنَّ العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد:

منها أنَّه يوجب المشقة في الوصول إلى المراد، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، ومنها أنَّه لو كان القرآن كله محكمًا لما كان مطابقًا إلا لمذهب واحد، وكان بصريحه مبطلًا لكلِّ ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله، وعن النظر فيه، والانتفاع به فإذا كان مشتملًا على المحكم، والمتشابه طمع صاحب كلّ مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مذهبه، وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب، وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسّرة للمتشابهات، وبهذا الطرق يتخلص المبطل من باطله، ويتصل إلى الحق، ومنها أَنَّ القرآن إذا كان مشتملًا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات، وترجيح بعضها على بعض، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة، والنحو، والمعاني، والبيان، وأصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة فكان في إيراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة، ومنها أَنَّ القرآن مشتمل على دعوة الخواص، والعوام، وطبائع العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق فمن

[١] سورة يونس: الآية ٤

سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم، ولا متحيز، ولا مشار إليه ظن أَنَّ هذا عدم، ونفي فوقع التعطيل فكان الأصلح أنْ يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهّموه، وتخيّلوه ويكون ذلك مخلوطًا بما يدل على الحق الصريح فالقسم الأول: وهو الذي يخاطبون به في أوّل الأمر يكون من المتشابهات، والقسم الثاني: وهو الذي يكشف لهم في آخر الأمر من المحكمات.[١]

[١] ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ٣٧/٣